في ذكرى الشهيد حسن البنا

في ١٤ ربيع الآخر ١٣٦٨هـ و١٢ شباط/فبراير ١٩٤٩م كان اغتيال الداعية الإسلامي العظيم الأستاذ حسن البنا رحمه الله تعالى

وقد قرأت الطلائع الإسلاميّة كثيراً عن الأستاذ البنا وستقرأ كثيراً عنه وعن دوره الذي أداه في خدمــة الإســلام والمسلمين ..

ونحن ننشر لقرائنا في هذا العدد من (الرائد) ما كتبه الأستاذ البنا رحمه الله تعالى بقلمه عن نشأة حركته الكبرى : (الإخوان المسلمون) ، وعن نماذج من تصرفات رعيلها الأول .. ليكون في ذلك فائدة للطلائع الإســلاميّة إن شــاء الله ، وتحيةً لذكرى هذا الشهيد الكريم والرائد العظيم من رواد العمل الإسلاميّ في العصور الأخيرة من تاريخ العرب والمسلمين

الإخوان المسلمون

وفي ذي القعدة سنة ١٣٤٧هـ – آذار/مارس سنة ١٩٢٨م –فيما أذكر– زارني بالمنــزل أولئك الإخوة الــستة : حافظ عبد الحميد ، أحمد الحصري ، فؤاد إبراهيم ، عبد الرحمن حسب الله ، إسماعيل عز ، زكي المغربي ، وهم مــن الذين تأثروا بالدروس والمحاضرات التي كنت ألقيها ، وجلسوا يتحدثون إليّ وفي صوتهم قوة ، وفي عيــونهم بريــق ، وعلى وجوههم سنا الإيمان والعزم قالوا : (لقد سمعنا ووعينا ، وتأثرنا ولا ندري ما الطريق العملية إلى عزة الإسلام وخير المسلمين ، ولقد سئمنا هذه الحياة : حياة الذلة والقيود ، وها أنت ترى أن العرب والمسلمين في هذا البلــد لا حظّ لهم من منــزلة أو كرامة ، وأنهم لا يعدون مرتبة الأجراء التابعين لهؤلاء الأجانب . ونحن لا نملك إلاّ هذه الدماء تجري حارة بالعزة في عروقنا ، وهذه الأرواح تسري مشرقة بالإيمان والكرامة مع أنفاسنا ، وهذه الدراهم القليلــة ، من قوت أبنائنا ، ولا نستطيع أن ندرك الطريق إلى العمل كما تدرك ، أو نتعرف السبيل إلى خدمة الوطن والــدين والأمة كما تعرف ، وكل الذي نريده الآن أن نقدم لك ما نملك لنبرأ من التبعة بين يدي الله ، وتكون أنت المسؤول بين يديه عنا وعما يجب أن نعمل ، وأن جماعة تعاهد الله مخلصة على أن تحيا لدينه ، وتموت في سبيله ، لا تبغي بذلك إلاّ وجهه ، لجديرة أن تنتصر ، وإن قلّ عددها وضعفت عددها) .

كان لهذا القول المخلص أثره البالغ في نفسي ، و لم أستطع أن أتنصل من حمل ما حُمِّلت ، وهو ما أدعو إليه وما أعمل له ، وما أحاول جمع الناس عليه ، فقلت لهم في تأثر عميق : (شكر الله لكم وبارك هذه النية الصالحة ، ووفقنا

إلى عملٍ صالح ، يرضي الله وينفع الناس وعلينا العمل وعلى الله النجاح ، فلنبايع الله على أن نكون لدعوة الإســـلام جنداً ، وفيها حياة الوطن وعزة الأمة) .

وكانت بيعة ..

وكان قسماً أن نحيا إخواناً نعمل للإسلام ونجاهد في سبيله .

وقال قائلهم : بم نسمي أنفسنا ؟ وهل نكون جمعيةً أو نادياً ، أو طريقة أو نقابة حتى نأخذ الــشكل الرسمـــي ؟ فقلت : لا هذا ، ولا ذاك ، دعونا من الشكليات ، ومن الرسميات ، ولـــيكن أول اجتماعنـــا وأساســـه : الفكـــرة والمعنويات والعمليات . نحن إخوة في خدمة الإسلام ، فنحن إذن (الإخوان المسلمون) .

وجاءت بغتة .. وذهبت مثلا .. وولدت أول تشكيلة للإخوان المسلمين من هؤلاء الستة ، حول هذه الفكـــرة ، على هذه الصورة وبهذه التسمية .

مدرسة التهذيب

ثم تشاورنا في مكان الاجتماع وما نعمل فيه ، واتفقنا أخيراً على أن نستأجر حجرةً متواضعة في شارع فاروق في مكتب الشيخ علي الشريف بمبلغ ٦٠ قرشاً في الشهر . نضع فيها أدواتنا الخاصة ونجتمع فيها اجتماعاتنا الخاصـــة ، على أن يكون لنا حق الانتفاع بأدوات المكتب بعد انصراف التلاميذ ابتداءً من العصر إلى الليل ويسمى هذا المكـــان (مدرسة التهذيب) للإخوان المسلمين ، ويكون منهاجه دراسة إسلامية قوامها تصحيح تلاوة القرآن بحيث يتلوه الأخ المنتسب إلى هذه المدرسة ، وبالتالي إلى الدعوة وفق أحكام التجويد . ثم محاولة حفظ آيات وسور . ثم شرح هـــذه الآيات والسور وتفسيرها تفسيراً مناسبا . ثم حفظ بعض الأحاديث وشرحها كذلك . وتصحيح العقائد والعبـــادات وتعرف أسرار التشريع وآداب الإسلام العامة ، ودراسة التاريخ الإسلاميّ وسيرة السلف الصالح والـــسيرة النبويـــة . بصورة مبسطة تهدف إلى النواحي العملية والروحية . وتدريب القادرين على الخطابة والدعوة تدريباً علمياً بحفظ مـــا يستطاع من النظم والنثر ، ومادة الدعوة . وعملياً بتكليفهم التدريس والمحاضرة في هذا المحيط أولا . ثم في أوسع منه بعد ذلك . **وحول هذا المنهاج ترتبت المجموعة الأولى من الإخوان المسلمين** الذين بلغوا في نهاية العـــام المدرســـي (١٩٢٧– ١٩٢٨) سبعين أو أكثر قليلا . و لم يكن هذا المنهاج التعليمي هو كل شيء .

فقد كانت معاني التربية العملية التي تتفاعل في أنفسهم بالمخالطة والتصرفات الواقعية والود والمحبة فيما بينـــهم ، والتعاون الكامل في شؤون حياتهم ، وتهيئ نفوسهم لما في ذلك من خير أقوى العوامل في تكوين هـــذه الجماعـــة . وأذكر أنني دخلت على الأخ السيد أبو السعود –رحمه الله– تاجر الخرداوات ، فرأيت الأخ مصطفى يوسف يشتري

منه (زجاجة ريحه) والمشتري يريد أن يدفع ١٠ قروش والبائع يأبى أن يأخذ أكثر من ٨ قروش ، وكلاهما لا يريد أن يتزحزح عن موقفه . كان لهذا المنظر أعمق الأثر في نفسي ، وتدخلت في الأمر ، فطلبت فاتورة الشراء فوجـــدت أن الثمن الأساسي الذي اشترى به الأخ سعيد سيد أبو السعود –رحمه الله– هو الذي يريد أن يبيع به لأخيه (الدستة ٩٦ قرشا) .

فقلت له : يا أخي . إذا كنت لا تكسب من صديقك ولا يشتري منك عدوُّك فمن أين تعيش ؟ فقال : لا فارق بيني وبين أخي ، ويسرُّني أن يتقبل مني هذا العمل ، فقلت للأخ مصطفى : ولماذا لا تتقبل رفد أخيك ؟ فقـــال : إذا كنت أشتريها من الخارج بهذه العشرة فأخي أولى بهذه الزيادة ، ولو عرفت أنه يقبل أكثر منها لـــزدت وبالتـــدخل انتهينا إلى ٩ قروش .

ليس الشأن شأن قرش أو قرشين ، ولكنه شأن هذا المعنى النفساني الذي لو انتشر في الناس واستشعروه واســـتولى على أنفسهم لانحلت المشكلة الفردية والاجتماعية والعالمية ، ولعاش الناس سعداء آمنين .

علم هؤلاء الإخوان أن أحدَ إخوانهم متعطل عن العمل ، فجاء أكثر من عشرةٍ كل واحد يهمس في أذنه علـــى انفراد يعرض كلَّ مدخَر من مال ليكون رأس مالٍ يعمل فيه أخوه المتعطل واكتفيت ببعضهم وشكرت للآخـــرين ، فانصرفوا وهم آسفون لما فاتهم من فضل المساعدة .

نماذج من تصرفات الرعيل الأول

كان هؤلاء الإخوة مثلاً رائعاً ونماذج طيبة من التمسك بأحكام الإسلام الحنيف في كـــل تـــصرفاتهم ، والتـــأثر بأخلاقه ومشاعره فيما يصدر عنهم من قول أو عمل ، سواء أكان ذلك مع أنفسهم أو مع غيرهم من الناس .

استدعى المسيو سولنت باشمهندس القنال ورئيس قسم السكسيون الأخ حافظ ليصلح له بعض أدوات النجارة في منـــزله وسأله عما يطلب من أجر فقال ١٣٠ قرشا . فقال المسيو سولنت بالعربي : (أنت حرامي) . فتمالـــك الأخ نفسه وقال له بكل هدوء : ولماذا ؟ فقال : لأنك تأخذ أكثر من حقك . فقال له : لن آخذ منك شيئاً ومـــع ذلـــك فإنك تستطيع أن تسأل أحد المهندسين من مرؤوسيك ، فإن رأى أنني طلبت أكثر من القدر المناسب فإن عقوبتي أن أقوم بالعمل مجاناً ، وإن رأى أنني طلبت ما يصح أن أطلب فأسامحك في الزيادة . واستدعى الرجل فعـــلاً مهندســـاً وسأله فقدَّر أن العمل يستوجب ٢٠٠ قرشاً فعرفه المسيو سولنت وأمر الأخ حافظ أن يبتدئ العمل . فقـــال لـــه : سأفعل ولكنك أهنتني فعليك أن تعتذر وأن تسحب كلمتك ، فاستشاط الرجل غضباً وغلبه الطابع الفرنسي الحاد ، وأخذته العزة بالإثم وقال : تريد أن أعتذر لك ومن أنت ، لو كان الملك فؤاد نفسه ما اعتذرت له . فقال حافظ في هدوء أيضا : وهذه غلطة أخرى يا مسيو سولنت فأنت في بلد الملك فؤاد وكان أدب الـــضيافة وعرفـــان الجميـــل

يفرضان عليك ألا تقول مثل هذا الكلام وأنا لا أسمح لك أن تذكر اسمه إلاّ بكل أدب واحترام ، فتركه وأخذ يتمشى في البهو الفسيح ويداه في جيب بنطلونه ، ووضع حافظ عدَّته وجلس على كرسي واتكأ على منضدة وسادت فتـــرة سكوت لا يتخللها إلاّ وقع أقدام المسيو الثائر الحائر . وبعد قليل تقدم من حافظ وقال له : افرض أنني لم أعتذر لك فماذا تفعل ؟ فقال الأمر هين سأكتب تقريراً إلى قنصلكم هنا وإلى سفارتكم أولاً ثم إلى مجلس إدارة قناة الـــسويس بباريس ثم الجرائد الفرنسية المحلية والأجنبية ثم أترقب كل قادم من أعضاء هذا المجلس فأشكوك إليه فإذا لم أصـــل إلى حقي بعد ذلك استطعت أن أهينك في الشارع وعلى ملأ من الناس وأكون بذلك قد وصلت إلى ما أريد ولا تنتظـــر أن أشكوك إلى الحكومة المصرية التي قيدتموها بسلاسل الامتيازات الأجنبية الظالمة ، ولكني لن أهدأ حـــتى أصـــل إلى حقي بأي طريق . فقال الرجل : يظهر أنني أتكلم مع (أفوكاتو لا نجار) ألا تعلم أنني كبير المهندسين في قناة السويس فكيف تتصور أن أعتذر لك ؟ فقال حافظ : وألا تعلم أن قناة السويس في وطني لا في وطنك وأن مدة اســـتيلائكم عليها مؤقتة وستنتهي ثم تعود إلينا فتكون أنت وأمثالك موظفين عندنا فكيف تتصور أن أدع حقي لك ؟ وانـــصرف الرجل إلى مشيته الأولى .

وبعد فترة عاد مرة ثانية وعلى وجهه أمارات التأثر وطرق المنضدة بيده في عنف مرات وهو يقول : أعتـــذر يـــا حافظ سحبت كلمتي فقام الأخ حافظ بكل هدوء وقال : متشكر يا مسيو سولنت . وزاول عمله حتى أتمه .

وبعد الانتهاء أعطاه المسيو سولنت ١٥٠ قرشاً فأخذ منها ١٣٠ قرشاً وردَّ له العـــشرين . فقـــال لـــه خـــذها (بقشيشاً) فقال : لا لا حتى لا آخذ أكثر من حقي فأكون (حرامي) فدهش الرجل . وقال : إني مستغرب لمـــاذا لا يكون كل الصناع أولاد العرب مثلك ؟ أنت (فاميلي محمد) . فقال حافظ : يا مسيو سولنت كل المسلمين (فاميلي محمد) ولكن الكثير منهم عاشروا (الخواجات) وقلدوهم ففسدت أخلاقهم . فلم يرد الرجل بأكثر من أن مدَّ يـــده مصافحاً قائلاً : متشكر . متشكر . كثِّر خيرك . وفيها الإذن بالانصراف .

وكان الأخ حسن مرسي يعمل عند الخواجه مانيو ويُخرج نموذجاً ممتازاً من صناديق الراديو . وكان الـــصندوق حينذاك يتكلف جنيهاً تقريبا . فجاء أحد الخواجات من أصدقاء مانيو وساوم الأخ حسن على أن يصنع لـــه بعـــض الصناديق بنصف القيمة . على ألا يخبر بذلك الخواجه مانيو فيستفيد حق النصف الذي يأخذه ويستفيد هذا الخواجـــه النصف الباقي . وكان مانيو يثق في الأخ ثقة تامة ، وقد أسلم إليه كل ما في الدكان من خامـــات وأدوات . وأراد صديق مانيو أن يستغل هذه الثقة ، ولكن الأخ حسَناً ألقى عليه درساً قاسياً في الأخلاق وقال له : إنّ الإسلام وكل دين في الوجود يحرم الخيانة ، فكيف بمن وثق فيَّ في هذه الثقة . وإني لأعجب أن تكون صديقه ومن جنـــسه ودينـــه ومع ذلك تفكر في خيانته ، وتحاول أن تحملني على مثل ذلك . يا هذا يجب أن تندم على هذا التفكير الخاطئ وثـــق بأنني سوف لا أخبر الخواجه مانيو بعملك هذا حتى لا أفسد صداقتكما ، ولكن بشرط أن تعدني وعداً صادقاً بـــألا تعود إلى مثل ذلك . ولكن هذا الخواجه كان سخيفاً ، فقال له ، إذن سأخبر الخواجه مانيو بأنك أنت الذي عرضت

عليَّ هذا العرض . وهو سيصدقني ولا شك فإنه يثق بكلامي كل الثقة ، وسيترتب على ذلك إخراجك من العمـــل وفقدانك لهذه المنـــزلة التي تتمتع بها عنده ، وخير لك أن تتفق معي وتنفذ ما أريد ، فغضب الأخ وقال له : افعل ما تشاء . وسيكون جزاؤك الخزي إن شاء الله ونفَّذ الرجل وعيده ، وجاء مانيو يحقق في الأمر ، فاكتسحت أضواء الحق ظلمات الباطل وأخبره الأخ حسن بالأمر و لم يشك الرجل أبداً في صدقه ، وطَرد هذا الصديق الخائن وقطع صلته به، وزاد في راتب الأخ جزاء أمانته .

وهذا الأخ عبد العزيز غلام النبي الهندي الذي يعمل (ترزياً) في المعسكر الإنجليزي تدعوه زوجـــة أحـــد كبـــار الضباط لبعض الأعمال الخارجية بمهنته . لتنفرد به في المنـــزل وتغريه بكل أنواع المغريات فيعظها وينـــصح لهـــا ثم يخوفها ويزجرها . فتهدد بعكس القضية تارةً ، وبتصويب المسدس إلى صدره تارةً أخرى ، وهو مع ذلك لا يتزحزح عن موقفه قائلاً : إني أخاف الله رب العالمين . وكم كان جميلاً ومضحكاً في وقت واحد أن توهمه في إصرار أنها قد قررت قتله وستعتذر عن ذلك بأنه هاجمها في منـــزلها وهمَّ بها ، وتصوب المسدس إليه فيغمض عينيه ويصرخ في يقين (لا إله إلاّ الله محمد رسول الله) فتفاجئها الصيحة ويسقط المسدس على الأرض ويسقط في يديها فـــلا تـــرى إلاّ أن تدفعه بكلتا يديها إلى الخارج حيث ظل يعدو إلى دار الإخوان المسلمين .

هكذا كان أولئك الإخوان . وحوادثهم في هذه المعاني كثيرة ومن أجل ذلك بارك الله الدعوة التي استنارت بهـــا مثل هذه القلوب وصدق الله العظيم ..

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۞ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [إبراهيم : ٢٤-٢٥]